سلسلة المحاضرات الأخلاقية

(٢)

العلم والبكاء

للمفكر الإسلامي

سماحة السيد صدرالدين القبانچي (دامت بركاته)

إصدار

جامعة الإمام المهدي ــ ع ــ النموذجية للدراسات الدينية

قسم الإعلام

المقدمة

عزيزي القارئ الكريم ان الكراس الذي بين يديك هو سلسلة محاضرات اخلاقية لسماحة المفكر الاسلامي حجة الاسلام والمسلمين السيد صدرالدين القبانجي (دامت بركاته) والتي يلقيها على طلبة جامعة الامام المهدي (ع) النموذجيــة للدراســات الدينية، لاجل اعدادهم اخلاقيا وروحيا وعقائديا ، راجين المولى عزوجل ان ينتفع الجميع من مضامينه وابعاده الروحية ومعانيه السامية انه سميع مجيب.

ولا يفوتنا ان نقدم شكرنا وامتناننا لقسم الاعلام في الجامعة لسعيه الــدؤوب فــي جمع المحاضرات وترتيبها واخراجها وتنضيدها بالشكل المناسب.

ادارة الجامعة

P

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد و آل الطاهرين.

قال الله تعالى في كتابه كريم : **(إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)**[1].

العلاقة بين العلم والبكاء:

حديثنا هذا اليوم عن العلاقة بين العلم والبكاء حيث تقول الآية القرآنية في وصف أهل العلم بأنهم **(يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)** يعني أن العالم كما يجب أن يكون عالماً كذلك يجب أن يكون باكياً **(إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ)** هؤلاء صِفَتُهم أنهم **(إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً)** العالِم يجب ان يكون خاشعاً ساجداً وكذلك يجب ان يكون باكياً وهذا هو موضوع حديثنا في هذه الدقائق المعدودة.

وهذا الحديث ليس حديثاً دَرسياً وانما هو مذاكرة لانّ الدرس له أصول والمذاكرة لها أصول، هذا اللقاء هو مذاكرة و معنى المذاكرة تبادل الذكرى وهو من حركة القلب، ومعنى الدرس هو التفكير وهو من حركة العقل ونحن الان في هذه المحاضرات نحتاج إلى حركة القلب وهذه الحركة في أوساطنا الحوزوية أوشكت ان تُضمَر في السنوات السابقة وغلبت كفّةُ العقلِ على كفّةِ القَلب ولكن الصحيح هو ان يكون هناك توازن بين حركة العقل وبين حركة القلب، والعالِم الديني ينظر إلى قلبه قبلَ أن ينظر إلى علمه، هل انَّ قلبه منير أم لا؟ ان كان منيراً فأتبعهُ وإلّا فلا، لأن القرآن يجعل شرط الفوز يوم القيامة (القَلْبِ السَلِيمِ) حين قال: **(يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)**[2] ربما تكون أفكار الإنسان وعلومه ومعتقداته سليمة لكن لا فائدة في ذلك إن لم يكن القلب سليماً.

---

[1]) سورة الاسراء ، الاية : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩

[2]) سورة الشعراء ، الاية : ٨٩

ان القرآن الكريم يجعل احد صفات العالِم الديني هي البكاء **(وَيَزِيدُهُمْ خُشُــوعاً)** مما يعني اننا كلما نزداد علماً يجب ان نزداد خشوعاً وبكاءاً، ونحن كلما قطعنــا في العلم شوطاً يجب ان نقطع شوطاً مثله في حركة القلب وخشوعه وأنينه.

هناك روايات وأحاديث كثيرة تشير إلى أهمية البكاء.

الحزن صفة من صفات المتقين:

الإمام علي(ع) يصف المتقين ويقول: (أمّا الليل فصافون أقــدامَهم يتلــون آيــات الكتاب يرتلونَها ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم)[1] إذن يجب ان يكون العالِم حزيناً ليس في المظهر بل في القلب، لذلك كانت أول صفةٍ من صفات رسول الله (ص) كمــا جاء في سنن النبي(ص) انه (متواصل الأحزان)[2] حزين القلب لما يَعــرف مــن دواعي هذا الحزن، أمّا الآخرون فهم يضحكون بينما كان الرسول(ص) متواصل الأحزان، نحن لا نقول للناس لا تضحكوا بل من صفات المؤمن أن يكون (بِشــرُه في وَجهه وحزنه في قلبه)[3].

أسباب الحزن والبكاء

ولابد أن نسأل لماذا الحزن والبكاء؟ ولماذا التأكيد القرآني على هذه الصفة حــين يقول: **(تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقّ)**[4] فالدموع مظهر مــن مظاهر العلم والمعرفة.

نعم، لدينا مجموعة من الأسباب التي من أجلها يكون القلب مغمــوراً بـــــالحزن والبكاء وهي:

١. الغربة في هذه الدنيا.
٢. الحياء من الله عزوجل
٣. الشوق إلى الجنة
٤. الخوف من الموت وما بعد الموت

وكلّما ازداد الإنسان معرفةً تجمعت فيه هذه الأسباب والدواعي وكلما ازداد جهلا زالت عنه هذه الدواعي فلا يكون لديه شوق إلى الله، ولا خجل من الله، ولا خوف

[1]) نهج البلاغة ، ج ٢ ، ص ١٦٠
[2]) عيون اخبار الرضا ـ ع ـ للشيخ الصدوق ، ج ٢، ص ٢٨٣
[3]) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٠
[4]) سورة المائدة ، الاية: ٨٣

من الموت لأنه لا يعلم الحقيقة التي سيلتقيها وهو كمثل الطفل الذي يلعب بعقرب أو ثعبان لجهله ولو كان عالماً بخطره لما لعب به.

أولاً: الغربة في هذه الدنيا

أيها الإنسان إعرف أنك غريب في هذه الدنيا، في الوقت الحاضر الناس يبكون على غربة الوطن والهجرة ولكن كل الدنيا هي غربة، ولذلك يقول الإمام السجاد (ع) في دعائه المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي: (الهي ارحم في هذه الدنيا غربتي)[1] وهنا ليس المقصود هو الغربة من عشيرته وأهله وقرينته بل المقصود هنا هو غربة الإنسان في دار الدنيا، الإنسان حينما يتأمل يجد نفسه غريباً لا يملك أي شيء من أسباب السعادة ، الذي يغادر من وطنه يقال له غريب والذي لا يملك مالاً ولا داراً ولا زوجةً ولا أُماً ولا اباً ولا عشيرة يسمى غريباً، إذن لماذا لا ننظر إلى الإنسان في هذه الدنيا هل يملك أسباب العافية أو أسباب العمر أو أسباب الثروة أو أسباب الذرية الصالحة؟ كلا هو لا يملك شيئاً من ذلك ولا يستطيع أحد أن يقول أني إذا نِمتُ مساءاً فسوف أستيقظ صباحاً.

الإنسان إذا وجد نفسه في صحراء قاحلة ليس له مأوى ولا مكان ينام فيه وجنَّ عليه الليل والذئاب من حوله لا يدري متى تفترسه والجوُ باردٌ جداً أو حارٌ جداً وهو وحيد في هذه الصحراء.

هنا سوف يشعر بالغربة ويقول أنا غريب في هذه الصحراء كذلك نحن الآن في الدنيا قياسا إلى عالم الآخرة، هناك حيث الحياة الحقيقة والوطن الحقيقي أمّا الدنيا فهي ليست وطناً حقيقياً بل هي دار سَفَر، إذن نحن في دار سَفر والإنسان في السفر غريب ويجب أن يبكي على غربته.

ثانيا: الحياء من الله عزوجل:

يجب على الإنسان أن يفكر بان الله تعالى قد أغرَقه بالنِعَم من أصل خلقتنا إلى هدايتنا إلى عافيتنا بل في كل قطرة دم تجري في عروقنا فإنها نعمة عظيمة وفي كل لحظة ملايين الملايين من الحركات في أبداننا لكي ينمو هذا البدن.

---

[1]) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ، ص ٥٨٧

اذن نحن أمام هذا الإله الرحيم الذي رَزَقنا هذه النِعَم في الدنيا ولكن نحن في غفلة ولا نقدّر ذلك، فمن منّا يقدّر بان فضل الله تعالى علينا أكثر من عدد الشعر في رؤوسنا **(وكان فضل الله عليك عظيما)**[1] هذا كله إضافة الى السترِ علينا فلو انَّ الله تعالى أراد أن يؤاخذنا بغفلتنا ويؤاخذنا لهلكنا.

لكن الله تبارك وتعالى بلطفه ومنّه لا يؤاخذنا بها حيث يقول في كتابه الكريم: **(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ)**[2]، حينئذ على الإنسان أن يقف خَجِلاً بين يدي الله المنعم الكريم معترفاً بذنبه ولذلك يقول الدعاء: (الهي أناجيك يا موجودا في كل مكان لعلك تسمع ندائي فقد عظم جرمي وقلَّ حيائي)[3] وكما جاء في الدعاء الوارد بعد زيارة الامام الرضا(ع) (رب اني أستغفرك استغفار حياء وأستغفرك استغفار رجاء)[4].

هكذا كانت تربية أئمتنا (ع) ووصاياهم إلينا، إذن فالعالم الديني وطالب العلوم الدينية يجب ان يغلب عليه الحياء من الله سبحانه وهو أمر غير مسألة الحلال والحرام والجنة والنار والثواب والعقاب.

قصة الشيخ نجم الدين العسكري

ينقل عن بعض الصالحين وهو الشيخ نجم الدين العسكري صاحب كتاب (علي والشيعة) انه كان طوال حياته إذا أراد ان ينام لا يمدّ قدميه حياءا من الله عزوجل فلمّا حضرته الوفاة مدّدا رجليه فكان يجمعهما وهم يمدّدهما مرة أخرى، ولكنه استسلم أخيرا لذلك وقال: (الهي أنا مجبور في ذلك لان الذي نزل به الموت يجب ان يُمدَّد رجلاه إلى القبله وهذا تكليف منك)، وروي أن أحدهم رآه في المنام فقال له: لقد كنتم تؤذنني بالأمس حين تمدّدون رجليَّ لأني لم أكن أقبل ذلك وأنا أرى علياً وفاطمة والحسن والحسين جالسين عندي.

امير المؤمنين(ع) يقول: (لو انَّ عبدا استطاع الهرب من مولاه لكنت من الهاربين)[5] والإمام السجاد (ع) في الصحيفة السجادية يقول: (الهي لو لا الواجب

---

[1]) سورة النساء ، الاية: ١١٣
[2]) سورة النحل ، الاية: ٦١
[3]) الصحيفة السجادية / ص ١٧٤
[4]) بحار الانوار ، ج ٩٩ ، ص ٥٢
[5]) مفتاح الفلاح للبهائي ، ص ٢٥١

من قبول أمرك لنزهتُكَ من ذكري إياك على ان ذكري لك بقدري لا بقدرك وما عسى ان يبلغ مقداري حتى أجعل محلاً لتقديسك)[1].

نحن نشكر الله ولكن ما هي قيمتنا حتى نرفع لساننا بالشكر، نحن كالنملة نأتي ونسجد ونشكر هل ينفع ذلك؟ كلا بل نحن أصغر من النملة أمام الله فلذلك يجب علينا ان نستحي منه.

ثالثا: الخوف من الله عزوجل:

نحن أمام عالَم مجهول وذلك العالَم مخيف وطويل المدى لملايين السنين، ولهذا فان الإمام السجاد (ع) في دعاء أبي حمزة الثمالي يقول: (الهي أعني بالبكاء على نفسي)[2] ثم يعدّد أسباب البكاء يقول: (أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال مُنكر ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري حاملا ثقلي على ظهري، أنظر مرةً عن يميني واُخرى عن شمالي)[3] هذه المراحل والحَلَقات يذكرها الإمام واحده بعد اُخرى ويقول أبكي لأجل هذا وذلك. نعم، فمن يستطيع أن يراهن ويَضمن أن يأتيه الموت في سرور وقرة عين؟ من منّا يستطيع أن يضمن الراحة في القبر ؟ ويضمن النجاح في جواب سؤال مُنكر ونكير؟ ولهذا كان الرسول (ص) متواصل الأحزان لأنه يعلم ما هي الحقيقة ولذلك كان أمير المؤمنين(ع) يقول: (أيّها الناس تجهزوا يَرحمكم الله فأن أمامكم عَقَبةً كؤودا ومنازلَ موحشة لابد من الورود عليها)[4].

القرآن الكريم يقول: **(وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)**[5] ولو نظرنا لوجدنا ما يدعو للخوف والقلق والاضطراب ما قدمنا شيئاً لمنازل الآخرة.

علماؤنا (رضي الله عنهم) جمعوا هذه المنازل ورتّبوها لنا ورسمو لنا المنجيات منها اعتماداً على ما جاء عن أئمتنا (ع)، انظروا في ذلك كتاب منازل الآخرة للشيخ القمي، وكتاب المرآة الناظرة للسيد شبر ولكن أنا آسف وأقول بأننا نحن طلاب العلوم الدينية نعرف عدد المطهّرات وعدد النجاسات وعدد عوامل المنع

---

[1]) الصحيفة السجادية / ص ٤١٨
[2])مصباح المتهجد للشيخ الطوسي - ص ٥٨٧
[3]) نفس المصدر السابق
[4]) الامالي للشيخ الصدوق ، ص ٥٨٧
[5]) سورة الحشر ، الاية: ١٨

من الصرف وكان وأخواتها ولكن لا نعرف ما هي عوامل النجاة في القبــر؟ ولا نعرف ما هي عوامل النجاة من سؤال مُنكر ونكير؟ ما هي عوامل النور في ظلمة القبر؟ ولكننا وللأسف لا نعطي هذه الأمور أهمية خاصة ونخصــص لهــا وقتــاً لمعرفتها ودراستها في الحوزة كما ندرس ألفية ابن مالك وغيرها.

الحديث الشريف عن الامام الرضا(ع) يقول: (عجبت لمن أيقــن بــالموت كيــف يَضحك)[1] نعم فان كل العالَم محكوم بالموت.

ابن الفارض وهو أحد العرفاء الكبار له ديوان شعري رائع في العرفان يقول فيه:

وأبعَدَني عــن أربُعــي بُعــدُ أربــعٍ   شبابي وعقلــي وإرتيــاحي وصــحتي

فَلي بَعد أوطاني ســكونٌ الــى الفَــلا   وَبالوحشِ أنسي إذ مِنَ الأنس وحشتي[2]

رابعاً: الشوق إلى الجنة:

الشوق إلى الجنة الجميلة التي يصفها لنا القرآن حتى يشوّقنا إليها ألا تســتحق أن نبكي على فراقها؟ العاشقون يبكون على فراق معشوقهم، ألسنا من العاشقين إلــى الجنة؟ الحديث يقول: (ليس لأنفسكم ثمنٌ إلّا الجنة فلا تبيعوها إلّا بها)[3].

أيها الطلبة إذا لم يكن لدى طالب العلم حالة البكاء فيجب أن يحــذر ويخــاف أن يكون مطروداً من رحمة الله.

أحاديث في فضل البكاء:

الرواية عن رسول الله(ص) تقول: (إن الله إذا أحبَّ عبداً نَصَبَ في قلبه نائحة من الحزن وإذا أبغض عبداً جعل في قلبه مزماراً من الضحك)[4].

والرواية عن الإمام السجاد (ع) يقول فيها: (ما من قطرة أحبُّ إلى الله عزوجــل من قطرتين قطرة دمٍ في سبيل الله وقطرةُ دمعٍ في سواد الليل لا يريد بها عبدٌ إلّا الله)[1].

---

[1]) تفسير نور الثقلين، ج٣/ص ٢٨٧
[2])الكنى والالقاب ، عباس القمي ، ج ١
[3])نهج البلاغة ، ج ٤، ص٩٧
[4]) الوسائل ، ج ٤ ، باب استقطاب الدعاء مع وصول البكاء ، ص ١١٢١، ح ٨

وعن الإمام الصادق (ع) قال: (لو أن باكياً بكى في امةٍ لرحموا)[٢] هكذا لو أن شخصاً واحداً يبكي في امةٍ لرحَم الله سبحانه وتعالى تِلكَ الأمة لبكاء هذا العبد. ورواية أخرى عن الإمام الصادق(ع) يقول: (ألا ومَن ذرفت عيناه في خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه قصراً في الجنة مكلّلاً بالدُرِ والجَوهر فيه ما لا عينٌ رأت ولا اذنٌ سمعت ولا خَطَر على قلب بشر)[٣].

وفي رواية أخرى عن الامام امير المؤمنين(ع) انه قال: (البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب)[٤].

وعن الإمام الصادق (ع): (ان الرجل ليكون ما بينه وبين الجَنة أكثر ممّا بين الثرى – يعني الأرض – إلى العرش لكثرة ذنوبه فما هو إلّا أن يبكي من خشية الله نَدَما عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنهِ إلى مقلتة)[٥].

وكذلك عن الامام الصادق (ع): (ما من شيء إلّا وله كيل ووزن إلّا الدموع فان القطرة منها تصفى بحاراً من النار وإذا أغرورغت العين بمائها لم يرهق وجهه قترٌ ولا ذلة فإذا فاضت حرَّمه اللهُ على النار)[٦].

وهكذا قال الامام الصادق (ع): (اقرب ما يكون العبد إلى الله عزوجل وهو ساجد باك)[٧].

نسال الله سبحانه أن يعيننا لان ذلك يحتاج الى معونة بل كل شيء يحتاج إلى معونة وبالخصوص البكاء والمناجاة يحتاج العبد فيها إلى نظرة من الله لان الإنسان لا يعرف كيف يحصل على هذه الحالة، ونحن بتسطير الكلام والمواعظ العقلية وليس القلبية لسنا قادرين إلّا أن يمنَّ الله علينا بذلك، ولكن الإنسان قادر على شيء واحد وهو العزم فإذا عزم الإنسان أعطاه الله ما يريد، فليبدأ بالتباكي فإذا تباكى فان الله يفتح عليه البكاء والرواية عن الامام الصادق (ع) تقول:(إن لم تكن بكَ بكاء فتباكَ)[٨].

والحمد لله رب العالمين

---

[١]) وسائل الشيعة ج ٧ ، ص ٧٤ ، ح ٨٧٦٩
[٢]) الكافي ، ج ٢ ، ص ٤٨١، ح ١
[٣]) الأمالي للشيخ الصدوق ، ص ٥٠٩
[٤]) مستدرك الوسائل ، ج ١١ ، ص ٢٤٥ ، ح ٣٦
[٥]) عيون اخبار الرضا ـ ع ـ للشيخ الصدوق ، ج ١ ، ص ٦ ، ح ٤
[٦]) الفقيه، ج١ / ص٣١٨ ، ح٥
[٧]) مستدرك الوسائل ، ج ٤ ، ص ٤٧٦ ، ح ١٨
[٨]) الكافي ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ ، ح ٨